

ألزهد في الدنيا والابتعاد عن الدالة على الناس للقدّيس مار اسحاق ألنينوي

الشماس يوسف نورو

عندما نرغب في مغادرة الدنيا والتعرّف عما في العالم, فلا شئ يفصلنا عنها ويميت فينا الأهواء ويحرك الامور الروحية ويحييها, مثل النوح وتوجع القلب الصائر بتميز, لأن الشخص المحتشم يقتدي بتواضع المحبوب (أي الله).

ولا شئ أيضاً يجعلنا نسير مع العالم وأهل العالم ونعاشر المعرّبين والسكران, ويفصلنا عن كنوز حكمة الله ومعرفة أسرارها, كالتحكّم على الآخرين والتفاخر بجرأة. فألتمس منك بمحبة أيها العزيز, بعد أن خبرت بذاتك, أن تتحفّظ من تأثيرات العدو ولا تدع المزاح يبّرد حرارة نفسك في حبها المسيح, الذي ذاق المرّ على خشبة الصليب من أجلك. فانك, بدلاً من حلاوة التأمّل والدالة على الله, تملأها وأنت في اليقظة تخيلات كثيرة, وتجعلها وانت في المنام أسيرة الاحلام القبيحة التي تشمئز من رائحتها الكريهة ملائكة الله القدّيسون, فتمسي أنت عثرة للاخرين وشوكة لذاتك.

أرغم ذاتك على الاقتناء بتواضع المسيح ليزداد سعير النار التي أوقدها فيك, اذ بها يُقتلّع منك كل تحرك دنيوي من شأنه أن يميت الانسان الجديد ويدنس ساحات الرب القدوس القدير. أتجرأ مثل القدّيس بولس وأقول (اننا هيكل الله... 1كورنثوس 3:16). انه طاهر, فلنظهر هيكله حتى يشتهي السكنى فيه, فلنقدسه لأنه هو قدوس, ولنزيئه بكافة الأعمال الصالحة الشريفة, ولنبخره بخور رضى مشيئته بالصلاة القلبية النقية التي يستحيل اقتفاؤها اذا لبثنا في معاشرة أهل العالم. بهذا تظلل النفس غمامة مجده ويسطع نور عظمته داخل القلب, فيمتلئ جميع سكان بيت الله فرحاً ومجداً. أما عديمو الحياة فيبادون بلهيب الروح القدس. أنب ذاتك دائماً يا أخي وقل: ويحي أيتها النفس الشقية, لقد حان أوان انحلالك من الجسد, فلماذا تتنعمين بهذه الأشياء التي ستغادرينها اليوم وتحرمين من مشاهدتها الى الأبد؟ انتبهى لما هو أنت وفكري بماذا فعلت وكيف؟ ومع من قضيت أيام حياتك, ومن هو الذي قبل تعب أعمال فلاحتك؟ ومن هو الذي فرحته عندما كنت تصارعين ليخرج للقائك يوم انتقالك, من فرحت في مسيرك حتى تستريح في مينائه؟ من أجل من تعبت حتى تبلغى بفرح اليه؟ من أقتنيت صديقاً لك في الدهر الأتي ليستقبلك هو الآن عند خروجك؟ في أي حقل اشتغلت ومن الذي سيدفع لك الأجرة عند غروب شمس حياتك؟.

افحصي ذاتك يا نفسي وأنظري في أي أرض سيكون نصيبك. ان كنت قضيت عمرك في الحقل الذي يثمر مرارة لفلته, وافرحي ونادي بتنهد وغم, لأن هذا يسر الله أكثر من الذبائح والمحرقات. فليفض فمك بأصوات العويل التي يسر بها الملائكة القدّيسون. ادھني خديك بدموع عينيك لكي يستريح فيك الروح القدس وينقيك من دنس شرك. استغفري الرب بالدموع لكي يقبل اليك. تشفعي الى مريم ومرتا لكي تعلماك أصوات

صلاة: أيها الرب يسوع المسيح الهنا, يا من بكيت على لعازر وذرفت دموع الحزن والشفقة عليه, اقبل دموع مرارتي, واشفي ألامي بألامك, طيب جروحي بجروحك, وقس دمى بدمك, طيب جسدي بطيب جسدك المحيي, يا من شربت المر من أعدائك, حلّ نفسي من المر الذي سقانيه العدو, يا من بسط جسدك على عود الصليب, اجذب اليك فكري المجذوب من الشياطين. يا من أمال رأسه على الصليب, ارفع اليك رأسي الذي ضرسه المعاندون. يداك الكليتي القداسة اللتان سُمرتا من الكفرة على الصليب فلتنشلاني من هاوية الهلاك معيدتان اياي اليك, كما وعد فمك الكلي القداسة. وجهك الذي قبل اللطم والبصاق من المجدفين فلينقي وجهي المدنس بالأثام, ولتهدني اليك نفسك التي سلمتها الى الأب على الصليب. ليس لي قلب متوجع ليفتش عنك. ليس لي توبة ولا خشوع ليعيدا الأولاد الى ميراثهم. ليس لي, يا سيد, دمع معزّ. لقد أظلم فكري بهموم الحياة ولا يستطيع أن يحترق اليك بتوجع. برد قلبي من كثرة التجارب ولم يعد بإمكانه أن يحمي بدموع محبتك. لكن أنت, أيها الأله أرب يسوع المسيح, يا كثير الصالحات, هبني توبة كاملة وقلبا متوجعا لكي أخرج في طلبك. لأنني بدونك غريب عن كل صلاح. فأعطني اذا نعمتك, أيها الصالح ولتتجدد فيّ ملامح صورتك أنت الذي أخرجك الأب من أحضانه أزلياً بلا زمن, قد تركتك فلا تتركني. هلم لطلبي أنا الذي أنفصلت عنك وادخلني الى مرعاك وأحصني مع خراف رعيّتك المختارة, وأعطني معها من عشب أسرارك الألهية التي مسكنها ألقب النقي حيث يشاهد اشراق اعلاناتك الذي هو تعزية وراحة لأولئك الذين جاهدوا من أجلك في الشدائد وصبروا على الجلادات المتنوعة. عسى أن نستحق هذا الاشراق بنعمة مخلصنا يسوع المسيح ومحبته للبشر في جميع أدهور, أمين...

الشماس يوسف نورو